

# يوم المرأة العالمي..

حين قرأ طه حسين الكتاب، قال: «لقد سبق هذا الفتى عصره بقرنين». المفكر الإصلاحي الرائد يعود إلى المجلس التأسيسي التونسي بعد 82 عاماً، متابلاً كتابه «امراتنا في الشريعة والمجتمع»

## الطاهر الحداد يواجه الظلاميين الجدد

تونس - ناجي الخشراوي

تستعيد تونس هذه الأيام ذكرى الطاهر الحداد (1899 - 1935)، أحد رواد الفكر الإصلاحي في المغرب العربي، وتحثفي بكتابه المرجعي «امراتنا في الشريعة والمجتمع» (1930)، من خلال طبعة جديدة تُطرح في المكتبات بالتزامن مع تصاعد «مشاريع الردة» التي تهدد المكتسبات التي حققتها النساء التونسيات على مدى عقود من التضحيات والنضالات. مما يجعل هذا الكتاب الجريء والسابق لعصره أكثر راهنية من أي وقت مضى.

عند صدوره قبل 82 عاماً، كان هذا العمل بمثابة البيان المؤسس للحركة الإصلاحية التي خرجت من معطفها لاحقاً الجمعيات النسائية باشكالها العصرية. استشرّف «امراتنا في الشريعة والمجتمع»، قيم ومبادئ العلمانية والدولة المدنية. وبالرغم من أنّ مصطلح العلمانية لم يكن مطروحاً في زمانه، إلا أنّ الطاهر الحداد اقترب من مفاهيمه وآلياته ومقاصده من خلال الدعوة إلى «رفع يد المحاكم الشرعية عن الطلاق وأحكامه»، و«الحد من تدخل المؤسسة الدينية في حياة الناس، وبالذات في شؤون المرأة ومكانتها في المجتمع». كذلك نادى بتقويض «سلطة الفقهاء» من خلال رد الاعتبار إلى الاجتهاد، وإعادة فتح أبوابه، من أجل التعامل مباشرة مع النص القرآني. وهذه الرؤية الإصلاحية يواصل الدفاع عنها اليوم مفكرون إصلاحيون بارزون في تونس، أمثال محمد الطالبي وهشام جعيط وعبد المجيد الشرفي وألفة يوسف ورجاء بن سلامة...

حين قرأ طه حسين الكتاب، قال عن الطاهر الحداد: «لقد سبق هذا الفتى عصره بقرنين»! لكن صاحب «في الشعر الجاهلي» لم يقيض له أن يلتقي الإصلاحي التونسي الرائد. على غرار شاعر تونس الأكبر أبو القاسم الشابي، غيب الموت الطاهر الحداد باكراً. وعلى الرغم من أنه رحل في سن الـ 36، إلا أنه ترك آثار أقدام راسخة وجريئة على الساحة الفكرية التونسية. كان قد لفت الأنظار برؤياه التحديّة التواقّة الى العصرية والانعتاق، منذ كتابه الأول «العمال التونسيون والحركة النقابية» (1927). لكنّ مواقفّه الوطنيّة لم تغتفر له لدى الإستبلاشمنت الديني المهيمن.

فُتحت عليه النيران من كل صوب فور صدور «امراتنا في الشريعة والمجتمع». جرّده «جامعة الزيتونة» (المعادل المغربي للأزهر) من شهادته العلمية، وفصل من عمله في سلك التعليم. وحاول «علماء الزيتونة» الرد على مؤلفه بكتابين هما «الحداد على امرأة الحداد» و«سيف الحق على من لا يرى الحق». لكن رؤياتهم الظلامية لم تكف لإخماد الصدى المتزايد الذي حظي به صوته الإصلاحي، مما دفع بهم إلى الانتقال من ساحة النقاش الفكري إلى حلبة التكفير. هكذا وُجّهت إلى الطاهر الحداد تهم الإلحاد والزندقة، وتعرض لحملة قاسية وصلت إلى حد اعتراض المؤسسة الدينية على حقه في الزواج من مسلمة، في بادرة سبقت بأكثر من ستة عقود مساعي فقهاء الظلام» لتفريق سليل الفكر الإصلاحي ذاته المصري الراحل نصر حامد أبو زيد عن زوجته! رحل الطاهر الحداد في الـ 36،

## آداب الجسد الأنثوي

ريتا فرج

في كتابه «السرد النسوي، الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) يرصد الكاتب العراقي عبد الله إبراهيم واقع النساء العربيات عبر الروايات والسير الذاتية. إلهام منصور، بتول الخضير، علوية صبح، عالية ممدوح، عفاف البطاينة، هيفاء بيطار، باهية الطرابلسي، نوال السعداوي، آمال مختار، أحلام مستغانمي، هؤلاء الروائيات وغيرهن لأمسن المسكوت عنه في آداب الجسد الأنثوي أو «الجسد المؤسس» على حدّ تعبير عالم النفس اللبناني مصطفى حجازي. ورغم أن مناهج التعبير في السرد النسوي لم تقتصر على الإحاطة الأدبية بمراقبة أجساد النساء العربيات قبل مرحلة النضوج وبعدها، عملت هذه النماذج المدروسة من قبل عبد الله إبراهيم على إثارة معطين أساسيين: الدين والبطركية. صورة الأنثى في المتخيّل الأبوي أخطر من المتخيّل الديني. الثقافة العربية لا تتحمّل تحرير المرأة لجسدها، فالانتقال من الأنثى المؤودة في الجاهلية إلى الأنثى المملوكة من قبل المنظومتين الأبوية والدينية، يبرهن على أن هذه الثقافة غير قادرة على تحمّل الوجود الأنثوي، ولذا تنظر إلى التأنيث باعتباره «قصياً وهمياً لكي تظل الأنوثة مجازاً ومادة للخيال»، على حدّ تعبير خالدة سعيد. وكلما انجذب المتخيّل الثقافي إلى الأنثوي عبر مسالك سلبية/ استلابية، جرى تقييد دور المرأة العربية في إطار الزواج وإمتاع الذكر والخضوع لآليات الضغط التي يفرضها المتخيّل الذكوري تجاه المؤنث.

مركبة بين «قوى الردة» المناهضة لإعادة «أسلمة» المجتمع وتلك المدافعة عن مكتسبات الحداثة

وحيداً ومحاصراً من قبل جيوب الردة والأصولية والرجعية في بلاده. لكن اسمه بقي مخلداً ضمن رواد الفكر الإصلاحي في «عصر النهضة العربي» إلى جانب رفاة الطهطاوي، وقاسم أمين، وعلي عبد الرزاق، وطه حسين. ولم تنجح الحرب الشرسة التي شنّها «الزيتونة» في تضيق الخناق على فكر الطاهر الحداد، فقد شكّلت رؤياته التحديّة مرجعاً بارزاً للحركة الإصلاحية التونسية. منها استوحى الزعيم الحبيب بورقيبة. عدّة استقلال البلاد عام 1956. «مجلة (قانون) الأحوال الشخصية» التي ما زالت إلى اليوم التشريع الأكثر طليعة في العالم الإسلامي في مجال حقوق النساء، إذ كفلت



إعدادها عيد عدوي. تجدر الإشارة إلى أن سلوى نقارة ستختتم أسبوع الميدان المخصص للمرأة من خلال عرض مسرحي مونودرامي بعنوان «كابوتشينو في رام الله». تلعب نقارة دور امرأة عتيقة، ومرحة، وملتزمة بالحياة، لكنها تجد نفسها تحارب من أجل

جعلتها مسيرة طويلة في التمثيل المسرحي والسينمائي والتلفزيوني. كما يستضيف البرنامج المحامية عبير بكر من مدينة عكا، وهي متخصصة في قضايا الأسرى وحقوق الإنسان، ولديها تجربة أيضاً في العمل الإعلامي. الضيفة الثالثة ستكون الناشطة الثقافية مها زحالقة مصالحة. وسيخصص القسم الثاني من الحلقة للعروض الفنية، إذ يستضيف رنين بنشارات، وهي أول ممثلة فلسطينية في الداخل تقدم عروض «ستاند أب كوميدي». كما تشارك الفنانة تريبز سليمان غناءً مع الفرقة الموسيقية الدائمة في البرنامج «توت أرض»، وهي الفرقة التي تعمل على موسيقى البرنامج من الجولان السوري المحتل. كما سيتخلل الحلقة عرض لمقاطع فيديو، عمل على

أيمن نحاس على خشبة «مسرح الميدان». عند الثامنة والنصف مساء اليوم، سيستضيف البرنامج مجموعة من الفنانات والقيادات الفلسطينيات من المناطق المحتلة عام 1948، سيغنين، ويقدمن وصلات «ستاند تجاربهن»، ويقدمن وصلات «ستاند أب كوميدي». البرنامج التلفزيوني/ المسرحي، يعرض مرة كل أسبوعين أمام الجمهور بشكل مباشر، من دون أن يبيّن على الشاشة. وطول شهر آذار (مارس) الجاري، ستخصص حلقاته لاستضافة نساء فلسطينيات من مختلف المجالات الحياتية، لإبراز إنجازاتهن المثرفة في العقود الأخيرة وتكريماً لهنّ في يوم المرأة العالمي. سيشارك في حلقة «الخميس Show» هذا المساء الممثلة سلوى نقارة، وهي واحدة من أوائل الممثلات الفلسطينيات اللواتي وقفن على خشبة، وفي

عكا - رشا حلوة

لطالما كانت حيفا إحدى أكثر المدن الفلسطينية احتفاءً بـ «يوم المرأة العالمي». ككل عام، ستقام اليوم في المدينة ندوات وأمسيات، وستجوب التظاهرات شوارعها وأحياءها ومسارحها. سيكون للموسيقى والكوميديا والحوارات مساحة مهمة في إحياء هذا اليوم، وتحديدًا على خشبة «مسرح الميدان» الذي خصص الأسبوع الممتد من 4 حتى 9 آذار (مارس) الجاري لتكريم المرأة، والاحتفال بـ «يوم المرأة العالمي». كانت البداية أمس، مع عرض شريط «678» للمخرج المصري محمد دياب، ويتناول قضايا التحرش الجنسي في المحروسة. ويتابع «الميدان» برنامج الليلة ضمن حلقة «الخميس Show»، البرنامج الحوارية الحي الذي يقدمه الفنان